مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 09 ،العدد 02،جوان ،2024 ص - ص:.254-277

تفاعل الثقافي والسياسي بالجزائر خلال الفترة العثمانية

–المؤسسات الدينية والثقافية والسلطة الحاكمة–

Cultural and political interaction in Algeria during the Ottoman period

- Religious and cultural institutions and the ruling authority -

فاتح خيواني (*)
جامعة باتنة–1، (الجزائر) ، مخبر الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية 1962/1830،
fkhiouani@gmail.com

بن قويدر نور الدين
جامعة باتنة–1، (الجزائر)، مخبر الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية 1962/1830
bn28dz@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/01/ 04 **تاريخ القبول:** 2024/01/ 25 **تاريخ النشر:** 2024/06/ 27

الملخص

لم تكن الثقافة الجزائرية وليدة الصدفة في انبثاقها وبزوغ فجرها للعلن إنما كانت وليدة التجارب والتراكمات المحلية منها والمكتسبة طيلة قرون من التفاعل مع الحواضر الأخرى خلال فترات السلم والاستقرار التي فرضها الواقع السياسي؛ الذي مهد لهذا التفاعل أخذا وعطاء؛ على الوجه الذي يلبي الحاجة المادية والمعنوية للإنسان في المغرب الأوسط بشكل خاص في خضم تلك التقلبات.

تفضي لنا هذه الدراسة عن حجم من البراعة والموهبة التي يتصف بها الفرد الجزائري من خلاله رصده واستيعابه لثقافات الأمم الاخرى في مختلف الظروف السياسية؛ بل تجاوز هذه الثقافات وبلور ثقافة جزائرية أصيلة كان للعثمانيين دور في تشكلها.

الكلمات الدالة: العثمانيون؛ الجزائر؛ الثقافة؛ السياسة؛ المدارس.

Abstrac:

Algerian culture was not the result of chance in its emergence and its dawning into the open, but it was the result of local experiences and accumulations from it and acquired over centuries of interaction with other cities during periods of peace and stability imposed by the political reality. who paved the way for this interaction, give and take; In a way that meets the material and moral needs of people in the Middle Maghreb, in particular, in the midst of these fluctuations.

This study leads us to the extent of the ingenuity and talent that characterizes the Algerian individual through his monitoring and

assimilation of the cultures of other nations in various political circumstances; Rather, it transcends these cultures and crystallizes an authentic Algerian culture, in which the Ottomans had a role to play..

Keywords: the Ottomans; Algeria; the culture; Politics; schools.

مقدمة:

يكاد يكون هناك إجماع لدى المؤرخين على مدى الخطر المحدق الذي كان يترصد مدينة الجزائر سيما ما تعلق بالإسبان ولعل أعمق ما يمكننا الاستدلال به عن خطورة الوضع ما ذكره "مبارك الميلي" في كتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" حين عبر قائلا :"أما مدينة الجزائر فقد سلمت إلى الإسبان إحدى جزرها الواقعة في مدخل الميناء، وفي ذات الجزيرة بنى "**بيدرو نافارو** "أحد القراصنة الإسبان حصنا نصب به المدافع الموجهة أفواهها إلى المدينة الواقعة على بعد ثلاثمائة متر "وكان هذا الحصن مصدر الكثير من الاعتداءات ضد سكان المدينة.[1] ومن البداهة أن يستغرب القارئ مدى فداحة تبعات هذا القرار في تسليم الجزيرة للعدو وماهي الدوافع الحقيقية وراء تسليم تلك الجزيرة للإسبان **!**

و في ظل هذه الظروف السياسية المتفاقمة لا يرجى – بالمنطق– رصد الكثير في الميدان الثقافي؛ خاصة أن الوضع العام للعالم الإسلامي لم يكن في أحسن أحواله. ولأن أي رصيد ثقافي لابد بالضرورة أن يكون في ظروف سياسية محلية وإقليمية تسمح بذلك؛ و لأن ذهنية الباحث لا تستكن لمثل هكذا قناعة دون بذل أي جهد لرصد خبايا الأوضاع الثقافية بالجزائر خلال الفترة المذكورة، خاصة وأن الفترة التي قضاها الأتراك بالجزائر ليست بالهينة (ثلاثة قرون). خاصة ما ورد منها في جهود كل من "**أبي القاسم سعد الله**" صاحب كتاب "**تاريخ الجزائر الثقافي**" و الأستاذ "**ناصر الدين سعيدوني**" من خلال كتابه "**الجزائر في التاريخ–العهد العثماني–** " و"**ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**" وهم من المؤرخين الذين يصعب تكرار أعمالهم الرصينة رصدا ودراسة ونقدا..

يذكر الأستاذ ناصرالدين سعيدوني أن النظرة الاستلابية التي أدت إليها عوامل عديدة سيما الاستعمارية منها قد أفرغت تاريخ الجزائر من كل محتواه، فتحولت أغلب الحقب التاريخية

الجزائرية كأنها سلسلة متعاقبة من الهيمنة الأجنبية لا أثر فيها لإسهام الشعب الجزائري، بداية بالفينيقيين قديما لتنتهي مع الفرنسيين مرورا بالرومان والوندال والبيزنطيين والإسبان والأتراك (بالنسبة للأطراف التي تعتبر أن الوجود التركي إنما هو حلقة في سلسلة الاستعمار التي مرت على الجزائر) وقد غيب هذا المشهد –إلى حد كبير – الإسهامات الحضارية المبدعة الناجمة عن التبلور الثقافي مع نظيراتها من الحضارات الأخرى) [2] وأمام هذ الاستلاب أصبح ماضي الجزائر ومن خلال إهمال جانب الأخذ والعطاء –الثقافي تحديدا– بين الشعوب كأنما هو ميدان معركة وساحة حروب وليس مسرح حياة ومجال تفاعل وتعايش وتناغم؛ لدرجة لم نعد فيها نسمع من أحداث الماضي سوى قعقعة السيوف وصخب المعارك التي أضمرت كل إبداع فكري أو منجز حضاري أو موروث ثقافي.

من المؤكد أن الجزائر – وبحكم توسطها حواضر البحر المتوسط – شهدت حركة ثقافية وتفاعلا حضاريا حثيثا لم يتبلور في معظم الفترات الزمنية بسبب العوامل السياسية خاصة الخطر الأجنبي ولم تتخذ لها وجها معينا يمكننا من خلاله الحكم على الوضع الثقافي العام بالجزائر— بالسلب أو بالإيجاب – في حدود المقومات الحضارية السائدة في تلك الفترة .

يجرنا البحث العلاقة القائمة بين السياسي والثقافي خلال الفترة العثمانية بالجزائر للحديث حول الإهمال غير المبرر أو كما أشار إليه الأستاذ "جمال سعادنة" من خلال كتابه "المنجز الثقافي الجزائري في العهد العثماني" بأن الموروث الثقافي لايزال يشكو تقصيرنا الذي أبقاه مغمورا في دائرة النسيان والتجافي حتى سوقنا ورسخنا لأنفسنا صورة من لا موقع له في التاريخ، ولا تراث نفخر به أو نؤسس عليه؛ الشيء الذي يجعل منا نرسم صورة قاتمة عن آبائنا بمعالم سالبة توحي بقصورهم إلى حد التغييب.[3]" وفي ذات السياق يشير الدكتور أبو القاسم سعد الله على " أن شغفنا بكتابة التاريخ وقضاياه قد لا يكون بنفس اهتمام وشغف المثقفين في المشرق؛ لكون تاريخ الجزائر قد تعرض إلى تشويه فضيع على أيدي كتاب (المدرسة الاستعمارية) بالموازاة مع غياب واضح لكتاب مدرسة وطنية لسد هذا الفراغ[4]

ويعتبر أبو القاسم سعد الله بأن إعادة بعث وإحياء هذا الرصيد اليوم هو من قبيل تأصيل مستقبل الجزائر والذي تذهب فيه بعض المذاهب إلى أنه – ملمحه – قائم على التعددية اللغوية والثقافية؛ كما تتضمن إيصال رسالة إنسانية للعالم فحواها تقبل الآخر على تنوعه اللغوي وانتمائه الثقافي؛ وكل الأمل في أن يكون ذلك في إطار القيم الإسلامية ضمن المتطلبات المدنية الحديثة **على** ضوء ما تطرق إليه الأساتذة أبو القاسم سعد الله والأستاذ ناصر الدين سعيدوني و"أحمد مريوش وآخرون " والأستاذ "جمال سعادنة" من خلال أعمالهم التي قربت للقارئ وبشكل متميز أوضاع الثقافة في ظروف سياسية متباينة؛ من خلال هذ المقال تبرز لنا إشكالية محورية مضمونها: هل عني المؤرخ الجزائري بالموضوعات الثقافية وعلاقتها بالجانب السياسي خلال الفترة العثمانية؟ تتفرع من هذه الفكرة إشكالات فرعية:

هل كانت الموضوعات الثقافية السياسية التي تم التطرق إليها على قدر من الرصانة ؟ وهل قدمت الإضافة المرجوة للمكتبة التاريخية والثقافية الوطنية ؟

واستجابة لمتطلبات هذا المقال وسعيا منا للإجابة على هذه الإشكالات ارتأينا أن يكون المنهج المتبع في هذ المقال هو المنهج الوصفي بمزيج من النقد والتحليل في بعض جنبات هذا المقال ما اقتضت الضرورة لذلك وفق محاور ثلاث كما يلي:

المحور الأول: الإنسان الجزائري والفعل الثقافي خلال الفترة العثمانية.

المحور الثاني: المراكز الثقافية والدينية وميدان الفن والتصوف.

المحور الثالث: أهم مواطن التفاعل بين المؤسسات الثقافية والدينية.

1. الثقافي والسياسي بالجزائر خلال الفترة العثمانية (التفاعل الحضاري للمؤسسات الدينية والثقافية مع السلطة السياسية)

1.1. الإنسان الجزائري والفعل الثقافي خلال الفترة العثمانية:

يعتبر المشهد الثقافي الجزائري خلال الفترة العثمانية إنما يمثل طريقة الفرد الجزائري في التعبير عن شخصيته وعبقريته في ممارسة الحياة وفق خصوصيته وكينونته الذاتية، وهنا يبرز جليا حجم الجرم الحضاري والإنساني الذي ارتكبه المحتل الفرنسي في حق الجزائر وثقافتها التي تعرضت

للمسخ الممنهج واستهداف كل ماله صلة بهوية الجزائر وانتمائها الحضاري ورصيدها العلمي والثقافي وبالأخص في الفترة العثمانية؛ باعتبارها الفترة التي تسبق الاحتلال الفرنسي.[5]؛ ولعل الأستاذ يسعى من خلال قوله هذا لتمرير رسالة مضمونها أن الاستعمار قد تسبب بعاهة مستدامة للشعب الجزائري من خلال فصله عن مقوماته ومبادئه الثقافية ما تسبب له بتخلف حضاري على مختلف الأصعدة وفي أكثر من مجال.

تعرض "الأستاذ سعادنة" الى تاريخ الجزائر في ميزان بعض المؤرخين على أنه لم ينل من الدراسة قدره الكافي ومرد ذلك "حسب سعيدوني" أن الكتاب الفرنسيين لم يكونوا يرون أي شيء جدير بالتنويه والإشادة في تاريخ **الجزائر**[6] سوى العهد الروماني وفترة الاحتلال الفرنسي ما أن الكتاب الجزائريين ظلوا أمدا من الدهر يعتبرون أن الفترة العثمانية تعتبر خاتمة لأبحاثهم المتعلقة بالقرو ن الوسطى أو مجرد تمهيد لدراستهم ذات الصلة بفترة الاحتلال الفرنسي؛ متجاهلين- عن قصد أومن دونه- فترة شهدت فيها الجزائر مقومات الأمة وكيان الدولة[7]؛ الأهمية لا تتوقف هنا فيما لو أردفنا أن الفترة تتوسط العصرين الوسيط والحديث من جهة كما أن الفترة حاسمة في تاريخ الدولة الجزائرية والنقلة الحضارية التي شهدتها بعد خروجها من العباءة العثمانية مرورا بما حدث في الفترة الاستعمارية من انكماش ثقافي .

واعتبار الفترة العثمانية بحق الحلقة المفقودة في تاريخ الجزائر.[8]

ولم يقتصر الأمر في نظر أحمد "توفيق المدني" عند حد التجاهل والتجافي، بل بلغ حد التشويه والتجني، فعندما تقرأ ما يكتب في تلك الفترة من تاريخ هذا الوطن كتاب الإفرنج ومن نحا نحوهم من كتاب التاريخ؛ فيخيل إليك أن القطر الجزائري بأسره ما كان خلال تلك الأيام الطويلة إلا مغارة من مغاور السفاكين وملجأ يركن إليه السفاحون من لصوص البر والبحر؛[9] ولعل مرد ذلك التصور السيء من الوجود العثماني في الجزائر يعود أساسا للأحكام الجاهزة لمفكري وكتاب المشرق الذين كانوا ينظرون إلى العثمانيين انطلاقا من واقعهم وضرفهم على أنهم غزاة استعماريون.[10] ولا يمكن الجزم هنا بأن الوضع في المشرق على شاكلة ما كان عليه في المغرب الأوسط ولا إمكانية الحكم بأن السلطة العثمانية قد نقلت جبهة الصراع من المشرق إلى

المغرب لانعدام الشواهد التاريخية التي تشير لذلك بالإضافة للظروف الجغرافية بين دول المشرق والمشاكل الحدودية خاصة مع إيالات المشرق الإسلامي والتي لا يبدو أنها ذات الظروف التي كانت سائدة في الجزائر التي تبعد أميالا عن الباب العالي .ثم إن هناك حلقات من التاريخ تضل مفقودة سيما ما تعلق بنظرة العثمانيين إلى الأقاليم المترامية وهل كان النظر إليها من نفس الزاوية من الأهمية خاصة خلال الفترات الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر ؟.

من جملة المؤرخين الذين سايروا في نهجهم المسلك الأوروبي في اعتبارهم أن الوجود العثماني بالجزائر إنا هو استعمار" مُحَمَّد العربي الزبيري" إنما تقليد حسب الكاتب يكاد يكون عاما لدى مثقفين اضمحلت شخصيتهم فلم يعودوا قادرين على نقد ما يكتبه الأوروبيون أو الطعن فيه ولوكان كذبا وبهتانا.[11] ثم لا يمكن إغفال المزايا الاستراتيجية التي منحها انضواء الجزائر تحت المضلة العثمانية خاصة بعد تأمين الحدود الشرقية حينما قضى خير الدين على الملك الحفصي بمباركة ودعم الباب العالي.[12]ولا ادري هنا ما هو السبب الحقيقي في وضع كل من له نظرة خاصة تجاه الوجود العثماني بالجزائر على أنهم ضمن التيار الاستعماري بالضرورة؛ أو أنهم يميلون للحكم الفرنسي على الحكم التركي؛ خاصة وقد أثبت الروايات التاريخية أن معظم الأهالي لم يكونوا خاضعين عمليا للحكم التركي بسبب انتهاجهم سياسة الحفاظ وعدم الانخراط في العلاقات مع السلطة الحاكمة بل اتباعهم طابع أكثر من ذلك فيما لو ذكرنا التجاوزات التركية والحركة المضادة لها من قبل الأهالي على شكل معارك داخلية .فهل بالضرورة يتم اعتبار هؤلاء ضمن التيار الفرنكفوني .؟ وعلى كل حال فإن محاولة تبرئة العهد العثماني في الجزائر مما لفق له من تهم، وما أثير حوله من شبهات، لا تعني بالضرورة تزكية وتنزيه تجربته السياسية في الجزائر بشكل مطلق، ذلك أن سنن الحياة والنظم والآفاق والأنفس أثبتت على مر التاريخ أنه لا تخلو تجربة سياسية ولا جهد بشري من محاسن ومساوئ ومآخذ طالما أنه جهد بشري عار عن عصمة وعدل الأنبياء .

وهنا تحديدا يمكن ان أخلص إلى أن الدارسين للفترة العثمانية ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: انغمس وتناغم بشكل كبير في الطرح الفرنسي في اعتبار أن الفترة العثمانية إنما هي حلقة أخرى في سلسلة الاستعمار التي شهدتها الجزائر .

الصنف الثاني: صنف يمجد بشكل مطلق كل ماله علاقة بالوجود العثماني بالجزائر.

الصنف الثالث: التحفظ على التجربة العثمانية والتي طالما يصنفها أصحاب الرأي الثاني أنها من قبيل الإقرار بالنظرة الاستعمارية وهو في الحقيقة طرح فيه نظر. سيما في طبيعة المعايير التي يتبناها كل طرف .

يشير الاستاذ مُحَمَّد العربي الزبيري "..إن عصر الحكام العثماني بهذه البلاد قد ظلم وامتهن، لا نريد بذلك أن نقول أنه كان خير حكم لها ولا يرقى لدرجة أن يوصف على أنه عصر مدنية ورفاهية وعدل يفوق أو يضاهي عصورا أخرى؛ فالمقارنة شاقة ومرهقة؛ خاصة إذ ما قارناها بازدهار المدينة وإيناع أسواق العلم والأدب شأو العصر "الرستمي" أو العصر "الحمادي" او العصر "الزياني" مثلا[13] .

يؤكد الأستاذ "يحي بوعزيز" إلى أنه لا يتوجب إغفال ما صدر عن بعض من ولاتهم في العهد الأخير من سوء التصرف والظلم والتعسف لأن ذلك أمر طبيعي في كل البلدان ولدى كل الشعوب والأجناس". ولا يمكن الجزم هنا تاريخيا إلى أن ذات العوامل كانت تحكم نشوب الثورات الداخلية مشرقا ومغربا سواء في إيالة الجزائر أو مختلف ربوع العالم الإسلامي.[14]

في جميع الأحوال فإن الدارس المنصف لتاريخ الجزائر على عهد العثمانيين، سيخلص إلى حقائق ميزت هذا العهد منها :

أن الجزائر من الحدود التونسية إلى التخوم المراكشية ومن ساحل بحر الروم إلى ما وراء الزيبان قد توحدت إدارتها وخضعت لسلطة مركزية واحدة فتكونت بذلك الوحدة الجزائرية

إن الحكم التركي قد صان الأرض الجزائرية عندما اشتدت رغبة المسيحية في اكتساحها على أيدي الإسبان، ويعد انضواء السكان تحت اللواء التركي نتيجة طبيعية للأخوة في الدين.[15]

يشير أحمد توفيق المدني "إن القطر الجزائري بعدما توحدت إدارته وظهرت قوته العسكرية في البحر قد أصبحت رغم العلاقة الإسمية بالباب العالي دولة واسعة الاستقلال؛ تستقبل الممثلين

السياسيين وتمضي المعاهدات وتعلن الحروب وتعقد الصلح "[16] بيد أن الأمر يشكل عند الأستاذ "ناصر الدين سعيدوني "حلقة وصل بين العصور الإسلامية والفترة المعاصرة من تاريخ الجزائر .

وأعتقد هنا أن من ضمن الأشياء التي شجعت فرنسا على احتلال الجزائر خروجها من العباءة التركية في مرحلة حاسمة من مراحل حياتها كدولة فتية وهي بعيد تشكل كيان الأمة الجزائرية وبدأ معالم الدولة في الظهور؛ ناهيك على أن الجانب الفرنسي قد كسب وإلى حد كبير ود العثمانيين في تلك الفترة وربما ما حفز فرنسا على حرب الجزائر تأكدها من هشاشة الرابطة بين الجزائر والباب العالي في تلك الفترة بالذات وأمنها على نفسها عدم الرد التركي فيما لو أقدمت على عمل خطير كاحتلال الجزائر .وما يبقى غائبا ومثار الكثير من التساؤلات سيما عند الطرف القائل بأن الوجود التركي إنما هو استعمار هل يمكن أن تتواطأ الدولة العثمانية على شيء خطير كاحتلال الجزائر ؟

كما أشار إلى ذلك الدكتور يحي بوعزيز في كتابه "الموجز في تاريخ الجزائر" حيث أور د في جزئه الثاني " نظرا لأهمية موقع الجزائر الاستراتيجي وقوة السلطة الجديدة فقد دخلت مطرف في الصراع الدولي الذي كان على أشده في منطقة الحوض المتوسط وأحتدم أكثر بين الإمبراطورية العثمانية والإسبان وفرنسا وكان أبرز ما ميز هذا الصراع توثق العلاقة بين الدولة العثمانية وفرنسا والجزائر بالتبعية واشتراكها في محاربة الإسبان ومقاومة مشاريعهم العدوانية في المتوسط الغربي بسبب العداء التقليدي للإسبان والجزائريين والتنافس الفرنسي التقليدي لهم حول مشاكل القارة وتكرر اعتداءات "شارل خان" على الشواطئ الفرنسية"[17].

إن الحكم العثماني لم ينشأ دفعة واحدة في كامل القطر الجزائري، ولكنه أخذ وقتا طويلا حتى يمتد، ويتوطد في أرجاء الوطن على قدر واحد من التغلغل والتأثير .

فإذا كانت بداية الوجود العثماني بمدينة الجزائر في سنة 918هـ فإن تلمسان مثلا لم تقع تحت الحكم العثماني بشكل نهائي إلا في سنة 959هـ وقسنطينة وبجاية سنة 962هـ وبالنسبة لأقاليم الصحراء والاوراس والزواوة لم يكن الحكم العثماني متمكنا فيها إلا ظاهريا وحتى نهايته.أما وهران

فضلت تحت سيطرة الإسبان ولم تقع تحت الحكم العثماني إلا سنة 1119هـ وبعد خمس وعشرين سنة استعادها الإسبان .ولم يستعدها العثمانيون إلا سنة 1205هـ[18].

ذكر "عبد الرحمن الجيلالي" في كتابه تاريخ الجزائر العام الجزائر كانت مرتعا للحروب الأهلية الممزقة وغرضا ملحوظا للأجانب المتوثبين، ... وقد من الله على أهل الجزائر وأولادهم بمن يدافع عنهم ويرد صولة هذه الاعتداءات الإفرنجية ويفل سلاحها، ويقصد بذلك "أروج بن يعقوب المدلي التركي" وأخاه "خير الدين" المتجولين بمراكبهما القرصنية بهذا البحر الابيض المتوسط – وهنا لم ينكر "عبد الرحمان الجيلالي" أن يضيف صفة القرصنة إليهما[19].

وعلى ما يبدوا ومن خلال كلام عبد الرحمن الجيلالي أن النصارى كان لهم برامج – قد يقصد بها ما هو متعارف عليه حاليا بتقسيم مناطق النفوذ والأجندات الاستعمارية الدولية الحديثة– في إفريقيا في تلك الفترة وما كان احتلال الجزائر إلا جزأ من هذه البرامج من أجل تقسيم شمال إفريقيا وأدرك أيضا أنها حروب صليبية ضد الوجود الإسلامي بالجزائر وشمال إفريقيا "[20]

تعتبر فترات القلاقل والحروب الداخلية سببا في كبح الاتراك وعدم إتاحة فرصة مناسبة لتفعيل الحركة العلمية والثقافية وتنشيطها بالقدر الكافي وبالصورة التي كان بإمكانها أن تظهر عليها وتبرز فيها.

معظم الاتراك العثمانيون كانوا من رجال الحرب والقتال والسياسة ما جعل الجانب الثقافي والعلمي والادبي عندهم في الدرجة الأخيرة التي تشد اهتمامهم؛ لكن لا يعني ذلك في أي حال من الاحوال أن الأمر يعكس حالا من الجمود والسكون في هذا المجال، بل يمكن القول أنه لم يكن بذات النسق والزخم الذي كان عليه الجانب السياسي.[21]

أشار الأستاذ سعادنة جمال إلى مقال لـ" أحمد توفيق المدني"[22]حينما اعتبر أن حالة الجمود الثقافي التي آلت إليها الجزائر؛ إنما هي حالة شاملة لجميع الأقطار العربية والإسلامية والتي كانت تعيش حالة تخلف مشابهة .

هذ ما يطرح الكثير من التساؤلات حول التواجد العثماني في المشرق الإسلامي ودوره العلمي والثقافي وهل كانت السياسة المنتهجة من قبل الأتراك العثمانيين موازية تماما لمثيلتها بالجزائر فيما يخص الجانب الثقافي . وقد أشار الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي إلى أن الثقافة الإسلامية بشكل عام أخذت في التدهور قبل استيلاء العثمانيين على السلطة بقرون وتكاد المصادر تجمع أن الثقافة قد أخذت منحى التدهور منذ زمن المعتصم[23].

2- المراكز الثقافية والدينية وميدان الفن والتصوف

1.2- المراكز الثقافية والدينية

يشير الأستاذ أحمد مريوش وآخرون إلى "أن ظهور المؤسسات الثقافية بالجزائر كان قبل الوجود العثماني في القرن السادس عشر الميلادي وذلك منذ انطلاق الفتوحات الإسلامية بالمغرب الإسلامي خلال القرن السابع الميلادي؛ ليمثل المسجد خلال هذه الفترة النواة الأولى للمؤسسات الثقافية والتعليمية والدينية؛ ناهيك عن الدور السياسي؛ لما في المسجد من دور تبليغي ودعوي من جهة ولما له من دور فاعل في فض الكثير من النزاعات الاجتماعية، لتظهر بعدها وبمرور الزمن مؤسسات كانت وليدة الحاجة الملحة للتعليم القرآني والعلوم الشرعية والدينية؛ فتجسدت من خلال المدارس العلمية والكتاتيب القرآنية والمعمرات إلى جانب الزوايا المنتشرة هنا وهناك.[24]

يبن لنا صاحب كتاب "**أحمد بن هطال**" التلمساني صاحب "**رحلة مُحَمَّد الكبير**"باي الغرب الجزائري" مشهدا هاما عن تداخل الأدوار بين الثقافي والديني والسياسي حين أشار إلى استعداد مُحَمَّد الكبير لفتح وهران في سنة1205م وطرد العدو الإسباني وكان ذلك بعد مشورة مع الداي، حيث اتفق مع علماء "معسكر وضواحيها أن يجمع الطلبة والمدرسين والقراء للمرابطة ب "جبل المائدة" على مقربة من وهران ليثبطوا همة الإسبان ويحولوا بينهم وبين ما يأتيهم من الخارج من أسلحة ومؤن وكان تعداد الطلبة يومها ينيف عن خمسمائة طالب.[25]

كما أن المؤسسات سالفة الذكر كانت تكتسي أهمية بالغة إبان الفترة العثمانية بالجزائر وذلك لاهتمامها بالثقافة بمفهومها الواسع كما –هو الشأن في عصرنا الحالي– وقد وصف أصحاب

هذا الكتاب المستوى العلمي بالرفيع والعالي في زمن لم تعرف فيه الجزائر لا الصحافة ولا المسرح ولا الطباعة.[26]

وفي نفس السياق يتبين لنا مدى التباس الدور والتسمية لكل من المسجد والجامع والزوايا؛ نظرا لتقاطع مهام كثيرة بين هذه المؤسسات، إذ أن الجامع (المسجد) تتمثل وظيفته بالدرجة الأولى في كونه المكان المخصص للصلوات المفروضة (الجماعية) وصلاة الجمعة والعيدين وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الفروض الدينية ومختلف العلوم الأخرى المتعلقة بحياة المسلمين والتعرف على شؤون الناس ومعالجة بعض مشاكلهم اليومية؛ وعلى ما يبدو فإن الأدوار التي كانت منوطة بالجامع أكبر منها في المسجد.

بيد أن الزوايا كانت بمثابة مأوى للطلبة ومركزا لاستقبال المريدين وتلقين الأذكار؛ يمثل حجم الجامع هنا قول الفصل في تحديد المهام المنوطة به من عبادة وتحفيظ للقرآن الكريم وتعليم الفروض الدينية والقيام بهام أخرى كالقضاء فتوصف هذه المساجد بـ"الجامع الأعظم" أو "الجامع الكبير" حسب موقعه في المدينة وتسمى أيضا بـ"القديم" أو "العتيق" تبعا لحداثته أو قدمه .

أسهب صاحب الكتاب في ذكر أصناف المساجد على ضوء ما أورده أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي من القرن (10هـ - 16 م / 14هـ - 20 م) في سرد أنواع المساجد حسب من قاموا بتشييدها إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قام ببنائه الحكام

لاعتبارهم أن ذلك جزء من واجبهم الديني لخدمة المجتمع الإسلامي ومساعدتهم في تأدية واجباتهم الدينية وتأدية شعائرهم ومن ثم كسب عطف الرعية ؛خصوصا وأن الحكام في كثير من الأحيان كانوا في حاجة ماسة للقبول من طرف الأهالي من أجل اعتلاء سدة الحكم وربما من قبيل الشهرة أيضا وكنماذج على ذلك "الجامع الكبير بالجزائر العاصمة" و"الجامع الجديد " الذي كان مقرا للمفتي الحنفي وهو في مقام شيخ الإسلام بإسطنبول و"جامع الباي بقسنطينة" و"صالح باي بعنابة " و"جامع الباشا بوهران "و"الجامع الكبير في تلمسان" وآخر بند روما[27] .

النوع الثاني: أشرف على تشييده الأثرياء بتلمسان

منها حوالي خمسين مسجدا منها جامع سيدي بومدين والجامع الكبير وجامع مُحَمَّد السنوسي وكان بالمدية أواخر العهد العثماني أحد عشر مسجدا؛ منها جامع سيدي المزاري الذي بناه مصطفى بو مرزاق أخر بايات التيطري والجامع الأحمر الذي بناه الباي حسن.

النوع الثالث: قامت ببنائه الهيئات والجمعيات الخيرية

ويعتبر عملا مكملا لعمل الولاة والأغنياء والشيوخ وعددها كبير يتعذر حصره ويردف صاحب المقال أن هذه المساجد كانت في معظمها متواضعة كما أشار إلى ذلك "الورتلاني" مقارنا تواضعها مع نظيرتها العثمانية التي كانت تمتاز بفرشها وزخارفها المتنوعة وسعتها وعلو صوامعها وكان بعضها يتميز بجمال يفوق جمال الكنائس كمساجد وهران وبجاية والجزائر العاصمة ومعسكر وقسنطينة[28] سيما ما تعلق بمسجد كشاوة الذي اغتصب من المسلمين عنوةفي سنة 1832م بأمر من القائد "روفيقو" وتم تحويله لكاتدرائية للمسيحيين الكاثوليك.[29]

وفي الجهة المقابلة نجد أن هناك مدارس علمية في الجزائر خلال الفترة العثمانية الغاية منها التعليم الشرعي وتلقين مختلف العلوم الدينية والدنيوية والشيء المميز في هذه المدارس أنها ليس ذات مستوى عالي كما هو الحال في عصرنا الحالي؛ غير أنا لها باعا لا يعلى عليه على صعيدي الأمة العربية والإسلامية ؛حيث أنها كانت تضاهي أو تفوق أحيانا مثيلاتها في بعض دروس الجوامع الكبرى في المشرق العربي كالجامع الأموي بدمشق والحرمين الشريفين وتجدر الإشارة إلى فضل العديد من الأساتذة ولمدرسين الجزائريين ومشاركتهم في التدريس في مختلف أنحاء العالم الإسلامي؛ على غرار "عبد القادر الراشدي" و"عبد الكريم الفكون" بقسنطينة و"علي الأنصاري" وغيرهم .[30]

على ذكر التباس الأدوار بين المسجد والزوايا والجوامع إلا أنه وبالرغم من ذلك فهي تلتقي في الكثير من نشاطاتها العلمية، كتحفيظ القرآن الكريم أين يبرز دور الكتاتيب في أوساط المجتمع الجزائري لما لها من دور كبير في تحفيظ الأطفال القرآن الكريم وترتيله؛ كما دعت الضرورة أن تشيد هذه الكتاتيب بمعزل عن المسجد ولكن بالمحاذات منه لتوفير جو الخشوع بها

عند أداء الصلوات المفروضة وعادة ما يتم تأسيس هذه الكتاتيب من الحفظة أنفسهم وهذا بغرض الحصول على لقمة العيش وعادة ما يتم تسمية هذه الكتاتيب بأسماء الأحياء التي أسست بها وكنموذج على ذلك مكتب "سوق القندقجية" ومسجد "كوشة بوبغلة" وكلمة "مسيد" كان تطلق عليها في الجزائر العاصمة وهي كلمة محرفة المسجد.

وكخلاصة عامة لهذا الفصل الأول يمكن رصد بعض النقاط الهامة والمتمثلة في:

طابع التدين للمجتمع الجزائري السائد خلال الفترة العثمانية شكل دافعا حقيقيا لنشاط اجتماعي حثيث؛ نجم عنه في كثير من الأحيان رصيد علمي وثقافي معتبر؛ على الصعيدين المحلي بل وتجاوز المحلية إلى أقاصي الرقعة الإسلامية قاطبة .

شكل المسجد في الفترة العثمانية اهتماما لدى الحكام؛ إذ أنه يعتبر عاملا لا بديل عنه في استقطاب الرأي العام من جهة ومؤسسة حقيقية لبناء لبنة توعوية مشتركة بين الأهالي في الفترة العثمانية من جهة أخرى.

يمكن أن نلخص البعد الوظيفي للمؤسسات الدينية والثقافية من خلال هياكلها المتمثلة في المساجد والجوامع والزوايا والمدارس والمعمرات والكتاتيب القرآنية إلى المهام التالية:

1-المهام الروحية : والتي يمثلها دور المسجد والجامع باعتبارها المؤسسة الدينية الأولى في الإسلام والهيكل المميز لأداء شعائره والقيام بأركانه وفروضه ورغائبه.

2-المهام المالية والتضامنية : ويبرز هذا الدور من خلال الزوايا التي تمثل مأوى للطلبة القرآن الكريم وما يشمله ذلك من إطعام وكساء وغيرها؛ ثم أن هذا الدور يشكل مصدر رزق لكثير من الحفظة ووسيلة لكسب لقمة العيش .علاوة على ذلك فإن الدور المالي الذي تمثله المساجد والجوامع من جمع للزكاة والتبرعات والصدقات والإتاوات؛ دون أن ننسى الحبوس والأوقاف. كل ذلك ساهم بشكل فعال في الدفع بالمؤسسات الدينية قدما عبر مؤسساته.

3-المهام السياسية :بما أن المسجد والجامع هو المكان الذي لا يختلف الحاكم فيه مع الرعية في قدسيته وحرمته؛ فقد شكلت المؤسسة المسجدية في كثير من الحالات مطية حقيقية لبلوغ

سدة الحكم، فإجزال العطايا لشيوخها وطلبتها كفيل في أن يؤتي أكله بلقاء القبول بين الأهالي لذلك مثلت جانبا دعائيا للحكام في هذه الفترة قد يوازي الحملات الانتخابية في عصرنا هذ.

4-المهام التطوعية: ويمكن تأكيد ذلك من خلال العمل التطوعي للحفظة في تأسيس مدارس لتلقين القرآن للأطفال الصغار .

5-المهام القضائية: ويعود ذلك للمسائل التي بتم حلها بالمساجد وفض الكثير من النزاعات وتقسيم التركات وتنفيذ العقود وإصدار الفتاوى وغير ذلك فقد كانت تمثل نظاما تشريعي وتنفيذي محلي على قدر كبير من التنظيم والفاعلية ما يخفف لأعباء عن المحاكم ؛وهنا يتبين لنا بوضوح مدى علاقة الدين بالسلطة عبر سلك القضاء خلال الفترة العثمانية.

2.2- ميدان الفن والتصوف

1.2.2- ميدان الفن

حظيت اللغة العربية باهتمام الأتراك بعد اعتناقهم للإسلام واستمرت اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم فأصبحت المؤلفات على اختلاف ضروبها ومحتوياتها تدون بالعربية وكانت لغة التدريس في المدارس العثمانية سيما في سنة 1719م؛ حيث أنشئت مكتبة أحمد الثالث وهي تعتبر إحدى المعالم الفنية الرائعة للطراز المعماري العثماني في مجال بناء المكتبات.

كما نجد فن الرسم الذي جسدته الأعمال التقليدية الكلاسيكية بالمصطلح الحديث للزخرفة والمنمنمات؛ تحديدا ما نراه في دكاكين الحرفيين والمنازل هذا إلى جانب الأعمال الفنية كالفن البربري الذي صمد أمام كل الغزوات استطاع أن يعيش في أعالي الجبال وأن يتقبل أشكالا جديدة كما هو الحال في مساكن "قبائل واد هياس" والرسوم الموجودة على الأواني الفخارية المنشرة بالأوراس والقبائل[31].

2.2.2- التصوف والطرق الصوفية

- تعريف التصوف:

تعتبر الطرق الصوفية والزوايا بشكل عام مشهدا من صميم الثقافة الوطنية في الجزائر خلال الفترة العثمانية؛ ذلك أن المرابطون والطرق الصوفية تعد من الجماعات الكبرى التي لعبت دورا

بارزا في حياة المجتمع الجزائري على مر العصور باختلاف مشاربهم ورؤيتهم ونمط مذهبهم؛ إلا أنهم يعتد بهم ضمن صفوف المسلمين .

أما أبو القاسم سعد الله فقد خلص إلى تعريف للتصوف بقوله " إن التصوف الحقيقي هو الذي تتوفر فيه شروط أساسية منها معرفة الكتاب والسنة معرفة دقيقة والعلم بهما، والجمع بين العلم والعمل والسعي إلى معرفة الله حق المعرفة عن طريق التأمل والنظر والتفكير في مخلوقاته بالإضافة إلى التقوى والورع والتجرد عن هوى النفس وحب الدين والابتعاد عن المغريات السياسية والسلطة وعدم التعاون مع الظلمة والمتجبرين .[32]

وفي نفس السياق يشر أبو القاسم سعد الله أنه من الصعوبة بمكان الإلمام بجل الصفات السابقة لدى الكثيرين من رجال الدين، لكنها كانت تتوفر بالفعل لدى البعض على مر التاريخ الثقافي بالجزائر كما هو الحال في سيرة "عبد الرحمان الثعالبي" و"مُحَمَّد بن يوسف السنوسي" و"عبد الرحمان الأخضري" و"عمر الوزان" وأمثالهم خير شاهد على ذلك؛ فعلاوة على علمهم اتسموا بخصال الزهد والتصوف والتجرد من الهوى.

وهنا نورد ما ذكره صاحب كتاب قسنطينة عن الزاهد المتصوف الفقيه العارف لله عمر الوزان حين زهد في منصب القضاء الذي ألف كتابا حول الكواكب والنجوم ووضعياتها حيث أبى إلا أن يرفض القضاء على رفعة هذا المنصب وقربه من الباشا حسن آغا في تلك الفترة بسبب مخافة الزيغ والوقوع في براثين الحكم وإرضاء الناس[33].

وهنا ينبغي الإشارة إلى أمر في غاية الأهمية،-حيث يكتسي أهميته من تلازم ذكره بمعية التصوف عبر التاريخ- ونعني هنا المرابطة؛ التي اكسبت أصحابها السلطة الروحية بين الناس لأنهم اشتهروا بالكرامات أو أنهم ينتسبون إلى ما اشتهر به أسلافهم وهم في الغالب يمارسون وظيفة الشعائر الدينية او خلق التعليم والإرشاد والتوجيه في مؤسسات دينية تحمل أسماءهم أو اسم أحد أسلافهم .[34]

لقد كان لانتشار التصوف خلال الفترة العثمانية أثره الواضح في حياة العامة من الجزائريين حيث كثرت المباني المخصصة لهم سيما في القرن الخامس عشر ثم يضيف صاحب الكتاب

على لسان أحد الباحثين وهو "الدكتور العيد مسعود" بأن الظاهرة مردها إلى المعتقدات القديمة؛ التي بقيت حية في ظل الدين الإسلامي الحنيف وإلى موجة التصوف التي عمت المغرب خلال القرن 15م وفكرة المرابط تتجاوب مع العقلية البسيطة للقبائل؛ الذين يكنون الحب والتمجيد للمتصوف؛ لأنه وفي اعتقادهم أن قدرتهم مردها إلى قوة إلهية.[35] وعلى عكس تسمية المرابط الذي يقتصر على نطاق معين في الريف فإن حركة الطرق الصوفية قد شملت بلاد المغرب؛ كما شملت أيضا بلاد المشرق الإسلامي وخاصة زمن الدولة الموحدية.

وقد وفد للجزائر خلال تلك الفترة عدد من شيوخ المدارس الصوفية واستقروا بها بشكل دائم منهم "أبو مدين شعيب" ومنهم من عبر الجزائر في طريق رحلته إلى المشرق كـ"ابن سبعين" و"ابن العربي" ونحوهم.

وأردف أبو القاسم سعد الله أن حركة التصوف في العهد العثماني تعتبر امتدادا للحركة التي بدأت قبلها بعد قرون وأن معظم كبار المتصوفين ومؤسسي الطرق الصوفية في التاريخ الإسلامي قد ظهر قبل القرن السادس عشر الميلادي؛ وذكر أن الأسماء اللاحقة في عالم التصوف مثل "الغزالي" و"الحلاج" و"ابن العربي" و"ابن الفارض" و"جلال الدين الرومي" و"الحاج بكداش" و"عبد القادر الجيلاني" ممن ظهروا قبل التاريخ المذكور سابقا.[36]

بزوال الدولة الموحدية انتشرت الطرقية بشكل سريع؛ سيما بعد الضعف الكبير الذي نال من الدولتين الزيانية والحفصية في كل من الجزائر وتونس. و الظاهر أن حركة التصوف خلال العهد العثماني قد انتشرت كثيرا ما بين القرنين 19/16 وقد شملت مختلف القطاعات ولم تكن مقتصرة على طبقة المتنورين والقارئين ونخبة المجتمع بل تعدته إلى جذب العامة.

وفي تقسيم مثير للاهتمام ذهب إليه أبو القاسم سعد الله فقد صنف العلماء الموظفين والفقهاء المستقلين الذين غلب عليهم طابع التصوف خلال الفترة العثمانية وهم تباعا:

1-صنف العلماء الموظفون .

2-الفقهاء المستقلين الذين غلب عليهم طابع التصوف وهم في الغالب لا يميلون إلى طلب الوظيفة .

3-المتصوفة الذين كانوا يدعون العلم والمنتسبين إلى الولاية لغرض من الأغراض التي تعودا أساسا للظروف السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية؛ دفعت بهم إلى الزعامة والظهور أو بسبب المال والسلطة والجاه أو التقرب من البلاط؛ إلا إذا أجبروا على ذلك وأدمجوا في هرم السلطة، أما الصنف الثالث فيضم المتصوفة .

وقد أورد أحمد مريوش وآخرون ا عددا من الطرق الصوفية كالدرقاوية والشاذلية والطيبية والطريقة الحنصالية والطريقة العيساوية مما لا يسعنا ذكره في هذا المقال[37].

وعلى ما يبدو من خلال ما سبق أن التصوف تشترك فيه مجموعة من العوامل الروحية والوجدانية التي وجدت لها مكانا في أفئدة الأهالي خلال الفترة العثمانية لعوامل عدة:

العامل التاريخي : حيث أن التصوف كظاهرة اجتماعية وفكرية وثقافية تشكل رافدا حقيقيا من الموروث اللامادي المنقول تواترا عبر الآجال والأزمان.

العامل الروحي : يشير الكاتب إلى أمر في غاية الاهمية من خلال كلامه حين قال بأن ظاهرة التصوف مرده إلى معتقدات قديمة بقيت بعد الإسلام وازدهرت في ضلة ،ولعل مرد ذلك في رأي ان البيئة قد ألقت بظلالها على عادات الناس بل ومعتقداتهم فجو السكينة الروحي والنفسي هو أسما ما يصبوا له الشخص المتدين بعيدا عن براثين الحياة وأدرانها لذلك اعتبرت القرى والأرياف الملاذ الأمثل للتصوف

المقاربة الفكرية الجزائرية العثمانية في التصوف: يبدوا أن العثمانيين بعد حلولهم بالجزائر لم يجدوا صعوبة كبيرة في نشر التصوف بين أوساط الأهالي بسبب قابليتهم وميولهم للتصوف من جهة ومن جهة التقارب الفكري والثقافي الحنفي الذي قدم به العثمانيون للجزائر .

3-الفرق بين المرابطين والطرق الصوفية : وقد أورد الكاتب من حلال هذا العمل المشترك عددا من النقاط التي يمتاز بها المرابطون عن الطرقيين من خلال جملة النقاط التالية:

أوجه الالتقاء:

-يدين أتباع كلتا الجماعتين بالولاء التام والإيمان الكامل والانقياد المطلق للمرابط وشيخ الطريقة .

-يعتبر المرابط وشيخ الطريقة من الأولياء الصالحين في نظر المؤمنين بهما.

-الرابط وشيخ الطريقة يستمد كل منهما نفوذه على اتباعه من القدرة الخارقة للطبيعة والإتيان بما يعجز عنه البشر عادة .

-الرابط وشيخ الطريقة يرتكز كل منهما إلى العلم الديني، فالأول عن طريق البركة الموروثة أو المكتسبة، والثاني عن طريق الاتصال الذي يحصل له بالتنسك والمجاهدة، فالمنبع والمضمون يكاد يكون واحدا.

-الفيض الإلهي والطريق إلى الله على أن المرابط حين تحول إلى مرابط وشيخ طريقة أصبح يجمع بين المزايا الروحية للمرابط وشيخ الطريقة[38].

– أوجه الاختلاف :

– إن المرابط في الريف كان يتمتع بدائرة نفوذ لا تتجاوز نطاق القبيلة؛ بينما لا ينحصر نشاط الطريقة في منطقة معينة تتعدى القبيلة إلى العرش ثم إلى الدولة.

– ليس للمرابط ورد أو أذكار بخلاف الطريقة الصوفية التي تربط المريد بالورد الخاص بالطريقة وكذا الأذكار المحددة الواضحة.

– المرابط في الغالب له انتماء قبيلي أو عن طريق الولاء ولا يوجد من وسيلة بيد شيخ الطريقة إلا الرابطة الروحية.

– أتباع المرابط يمنحونه العطايا والأموال بمحض إرادتهم بينما تفرض الطريقة الصوفية على اتباعها المعونة العينية أو النقدية بعدما تحددها بنفسها .

– للطرق الصوفية نظام إداري يشبه الأنظمة الإدارية للحكومة لاسيما ما تعلق بالمناصب والجباية واستثمار العقار والأراضي والأحباس ولها أسرار كالتي لدى الدولة. ولا يوجد لدى المرابطين سبق مماثل في ذلك.

– تنتقل الرياسة عادة عند المرابطين إلى ذريتهم من بعدهم؛ بحكم انتقال البركة إليهم أبا عن جد بينما يتولى رياسة الطريقة الصوفية اصلح المريدين من تلامذة الشيخ ومعاونيه.[39]

3– أهم مواطن التفاعل بين المؤسسات الثقافية والدينية مع السلطة السياسية:

1.3– وحدة الهدف والغاية بسبب الخطر الأجنبي:

ويعود ذلك أساسا إلى الخطر المحدق الذي كان يمثله الخطر الأجنبي لذلك نجد تقاربا في النظرة لدى المؤسسات الثقافية والدينية والسياسية على حد سواء؛ فقد شكل الصراع الإسلامي المسيحي في غرب المتوسط بين إسبانيا الكاثوليكية والخلافة العثمانية تضافر جهود الإخوة بربروسة والأتراك والأندلسيين والفقهاء وشيوخ الزوايا ورؤساء العشائر من أهالي الجزائر بل وساهم هذ الوضع في لملمة شتات القبائل وبعث الاستقرار الداخلي من أجل التصدي للخطر المحدق-ولو بشكل مؤقت-.[40]

2.3– علاقة الطلبة والمدرسين بالسلطة:

وقد سبق التطرق إلى هذا العنصر من خلال إبراز الدور الذي لعبه الطلبة والمعلمين والفقهاء في تحقيق مبدأ الجهاد المقدس ضد الغزو الإسباني والذي من خلاله تم توضيح العلاقة الوطيدة بين الساسة وشريحة المثقفين .تجاه ما يمليه واجب الدفاع عن الوطن.

3.3– علاقة الطرق الفكرية والسلطة الحاكمة:

لقد كان هنالك شيء من اللبس والغموض خاصة مع إلغاء بعض الحكام الأتراك بل ومحاربة بعض التوجهات الفكرية والطرقية على حساب المذهب الحنفي التركي ولكن الظاهر أن العثمانيين بعد حلولهم بالجزائر لم يجدوا صعوبة كبيرة في نشر التصوف بين أوساط الأهالي بسبب قابليتهم وميولهم للتصوف من جهة ومن جهة التقارب الفكري والثقافي الحنفي الذي قدم به العثمانيون للجزائر. ولا ننسى أن عددا من الفقهاء والعلماء والمدرسين كانت تربطهم علاقة عمل بالدولة لذلك لا يستغرب منهم الولاء المطلق للحاكم.

4.3– علاقة السلطة السياسية بالمؤسسات الدينية:

بما أن المسجد والجامع هو المكان الذي لا يختلف الحاكم فيه مع الرعية في قدسيته وحرمته؛ فقد شكلت المؤسسة المسجدية في كثير من الحالات مطية حقيقية لبلوغ سدة الحكم، فإجزال العطايا لشيوخها وطلبتها كفيل في أن يؤتي أكله بلقاء القبول بين الأهالي لذلك مثلت جانبا دعائيا للحكام في هذه الفترة قد يوازي الحملات الانتخابية في عصرنا هذ. وجلي بالذكر هنا

ذكر مآثر صالح باي العمرانية والثقافية؛ فعدا عن كونه يمثل دورا سياسيا باعتباره باي بالك الشرق الجزائري إلا أنه كان فاعلا حقيقيا في الشق الثقافي والديني أيضا؛

وقد حقق انتصارات عسكرية ببايلك الشرق إضافة للتنظيمات الإقتصادية والعمرانية والثقافة خاصة مدرسة "الكتانية" حيث شيد بالإضافة لذلك مسجد سيدس الكتاني.[41] وهنا لابد من أن ننوه بجودة العمل الجماعي "مقاربات في تاريخ الجزائر العثمانية" من مجموعة من الباحثين.كفارس كعوان،ولخضر بوطبة،وأوجرتي وغيرهم .

خاتمة:

من خلال ما سبق يتبن لنا مايلي:

لاتزال المكتبة الوطنية في حاجة ماسة إلى إسهامات بحثية جادة خاصة ما تعلق بالمورث المادي وغير المادي في المناطق الداخلية خلال الفترة العثمانية وغيرها من الفترات.

تمتاز العديد من الأعمال بجودة عالية فيما يتعلق بإبراز المرافق الثقافية والشخصيات العلمية البارزة في النطاقين الديني والثقافي على حد سواء.

لازال هناك مجال واسع للبحث في عديد الحيثيات التاريخية خصوصا متعلق بالقرصنة والأسر والفدية التي كان سريان مفعولها في تلك الفترة من قبيل الجهاد الديني وبالمقالبل من ذلك قرصنة بالنسبة للجانب الأروبي .

حينما يتحول التهديد الإسباني إلى مسألة وجودية فإن الخلافات الداخلية تلقى جانبا وتبرز هناك حاجة ملحة من أجل التكاتف لصد العدوان الأروبي فنجد الفقيه والمعلم والحاكم وحتى التلاميذ يدا واحدة في درء الخطر المحدق.

– قائمة المراجع:

1- جمال سعادنة :المنجز الثقافي الجزائري في العهد العثماني منشورات الوطن اليوم العلمة ،سطيف ،الجزائر 2019.

2- أبو القاسم سعد الله أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الأول، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع-دار الرائد، الجزائر العاصمة، 2009,

3-أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ،سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،الجزائر ،سنة 2007.

4- ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني،ط2 منقحة، دار البصائر للنشر والتوزيع ،(دط)،الجزائر العاصمة،(دت).

5- سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1،2000م.

6- يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر(الجزائر الحديثة) ،ج 2، ديوان المطبوعات الجامعية ،ط2، سنة 2009.

7- عبد الرحمن بن مُحَّد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ،ج2، مكتبة الشركة الجزائرية – الجزائر، منشورات دار مكتبة الحياة –بيروت، ط2، سنة 1385هـ -1965م.

8-المدني أحمد توفيق :مُحَّد عثمان باشا داي الجزائر 1766م-1791م سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة ،المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع زيروت يوسف الجزائر، (دط)سنة 1986م

9- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية للنشر، الجزائر، طبع بمطابع أ.بدران وشركائه، بيروت– لبنان سنة 1764.

10- عمار عمورو: الجزائر بوابة التاريخ، ماقبل التاريخ إلى 1962 الجزائر عامة،ج1،دار المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر ،(دط)سنة2009.

10- صالح فركوس: تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، المراحل الكبرى، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة سنة 2005.

11- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار البصائر، الجزائر (دط)سنة 2007.

12- أحمد بن هطال التلمساني، رحلة مُحَّد الكبير "باي الغرب الجزائري" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم مُحَّد بن عبد الكريم، عالم الكتب للنشر، القاهرة، ط1،سنة 1969.

13- ليسور-و.ويلد: رحلة طريفة في إيالة الجزائر، تحقيق وتقديم وتعليق الأستاذ مُحَّد جيجلي، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،(دط) سنة2001.

14- رشيد بورويبة، قسنطينة، منشورات وزارة الثقافة، (دط)سنة 2013.

15- نصر الدين براهيمي، نصوص الدكتور علي تابليت، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات ثالة ، الأبيار، الجزائر، (دط)،2010.

16- مجموعة من الباحثين: تنسيق وإشراف أ.مُحَّد أوجرتي، مقاربات في تاريخ الجزائر العثمانية، (دط)، سنة 2021.

الهوامش:

[1] - مبارك الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية للنشر، الجزائر، طبع بمطابع أ.بدران وشركائه، بيروت– لبنان، ص 43.

[2] – ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط2،الجزائر العاصمة، سنة 2009، ص25.

[3] – جمال سعادنة: **المنجز الثقافي الجزائري في العهد العثماني**، منشورات الوطن اليوم، سطيف،(دط) الجزائر 2019،ص9-10.

[4] – سعد الله أبو القاسم: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، الجزء الأول، عالم المعرفة للنشر والتوزيع-دار الرائد، طبعة خاصة، الجزائر العاصمة، 2009، ص3.

[5] – جمال سعادنة: **المنجز الثقافي الجزائري في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص9.

[6] –قال الأصطخري وهو من علماء القرن الرابع الهجري في كتاب مسالك الممالك "...وجزيرة بني مزغنة مدينة عامرة يحف بها طوائف من البربر " وقال أبو عبيد البكري (ت– 487هـ) مدينة جزائر بني مزغنة مدينة جليلة قديمة البنيان فيها آثار للأوائل وآزاج محكمة تدل على أنها كانت دار مملكة لسالف الأمم،وقال الشريف الإدريسي (ت–548هـ) في كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،الجزائر لبني مزغنة ومدينة الجزائر على ضفة

البحر،وذكر ابن بشكوال في كتاب الصلة أن مولده في جزائر بني مزغنى،وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان الجزائر جمع جزيرة إسم علم لمدينة على ضفة البحر بين إفريقية والمغرب بينها وبين بجاية أربعة أيام .

[7] – سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص23-30.

[8] – جمال سعادنة: **المنجز الثقافي الجزائري في العهد العثماني** ،المرجع السابق، ص13-14.

[9] – المدني أحمد توفيق: **مُحَمَّد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791م،سيرته،حروبه،أعماله،نظام الدولة والحياة العامة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1986م،ص7.

[10] – بوعزيز يحيى: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،دط،1999م،ص251.

[11] – جمال سعادنة: **المنجز الثقافي الجزائري في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص17.

[12] – عمار عمورو: **الجزائر بوابة التاريخ، ماقبل التاريخ إلى 1962 الجزائر عامة**، ج1، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر ،سنة 2009، ص262.

[13] – جمال سعادنة: **المنجز الثقافي الجزائري في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص:20.

[14] –بوعزيز يحي: **الموجز في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص251.

[15] –صالح فركوس: **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال**، المراحل الكبرى، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة،(دط)، سنة 2005ص104.

[16] – المدني أحمد توفيق: **مُحَمَّد عثمان باشا**، المرجع السابق ص8.

[17] – يحي بوعزيز :**الموجز في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص 9.

[18] – جمال سعادنة: **المنجز الثقافي الجزائري في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص23.

[19] – عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج5، دار البصائر، الجزائر، دط،2007م، ص171.

[20] – عبد الرحمن الجيلالي :**تاريخ الجزائر العام** ،ج2،مكتبة الشركة الجزائرية –الجزائر، منشورات دار مكتبة الحياة –بيروت،ط2، سنة 1385هـ -1965م، ص 221.

[21] – جمال سعادنة: **المنجز الثقافي الجزائري في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص25.

[22] – المدني أحمد توفيق: **مُحَمَّد عثمان باشا داي الجزائر 1766م–1791م سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة** ،المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع زيروت يوسف الجزائر،(دط) سنة 1986م، ص21.

[23] – سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، دار البصائر، الجزائر سنة 2007، ص185.

[24] – أحمد مريوش وآخرون، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، سنة 2007، ص11.

[25] – أحمد بن هطال التلمساني، **رحلة مُحَمَّد الكبير "باي الغرب الجزائري" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري**، تحقيق وتقديم مُحَمَّد بن عبد الكريم، عالم الكتب للنشر، القاهرة، ط1، 1969، ص20.

[26] – أحمد مريوش وآخرون، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص11.

[27] – أحمد مريوش وآخرون : **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص14.

[28] – أحمد مريوش وآخرون: **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص14.

[29] –أ.ليسور–و.ويلد: **رحلة طريفة في إيالة الجزائر**، تحقيق وتقديم وتعليق الأستاذ مُحَمَّد جيجلي، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، سنة2001، ص24.(اللوحة–9 المسجد).

[30] – أحمد مريوش وآخرون : **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص14.

[31] – أحمد مريوش وآخرون : **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص24–25.

[32] – أحمد مريوش وآخرون: **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص87.

[33] – رشيد بورويبة، **قسنطينة**، منشورات وزارة الثقافة، (دط)سنة 2013،ص102.

[34] – أحمد مريوش: **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق ص87.

[35] – أحمد مريوش: **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق ص87.

[36] – أحمد مريوش وآخرون: **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق،ص89.

[37] أحمد مريوش وآخرون: **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 98–109.

[38] – أحمد مريوش وآخرون، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص91.

[39] – أحمد مريوش: **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص92.

[40] – نصر الدين براهيمي، نصوص الدكتور علي تابليت، **تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني**، منشورات ثالة ، الأبيار، الجزائر، 2010، (دط)، ص14.

–مجموعة من الباحثين: تنسيق وإشراف أ.مُحَمَّد أوجرتي، **مقاربات في تاريخ الجزائر العثمانية**، (دط)، سنة 2021.ص48.